اسم الدرس : تفسير سورة الليل

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، اليوم بإذن الله عز وجل نبدأ في تفسير سورة الليل، نريد دائمًا أن نجدد النوايا قبل مجلس التفسير بأن نتذكر أن مجالس القرآن تحفها الملائكة بتوفيق من الله عز وجل وبفضل من الله عز وجل، وتتنزل عليها السكينة وتغشاها الرحمة ويذكرها الله عز وجل فيمن عنده.

إذًا مجلس القرآن ليس مجرد مجلس، النبي صلى الله عليه وسلم أخبر وبشّر أن مجالس الذكر لا يشقى بها الجليس، الجليس العابر لا يشقى، فما بالكم بالجليس المثابر الذي يأنس بالقرآن ويأنس لفهم القرآن ويثابر لفهم القرآن؟!

فتحٌ من الله عليه ألاّ يشقى أبدًا، يقول الله عز وجل: {طه*ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}طه[2:1]. إذًا كلما اقترب الإنسان من القرآن ابتعد عن الشقاء، مجالس تدبر القرآن والتفقه في القرآن والمجاهدة للعمل بالقرآن هي مجالس مباركة يذكرها الله عز وجل فيمن عنده، ويخصها بشيء من عنده سبحانه وتعالى، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون لنا أكبر وأوفر نصيب من هذا الفضل.

سورة الليل من سور جزء عم، سورة مكية، وأيضًا أُذَكِّر أن القرآن لما نزل، وأكرر هذا الأمر دائمًا أن القرآن لم ينزل على واقع متوقف أو ساكن، بل واقع متحرك، واقع كله بذل لنصرة الدين، سواء في السور المكية أو في السور المدنية، سواء في استقرار المدينة أو في الغزوات أو الجهاد، أو وقت الاستضعاف في مكة، كان الصحابة يحتاجون لنزول هذه الآيات، ونكرر قول الله عزوجل لما قال الكفار: {...لولا نُزل عليه القرآن جملة واحدة...}سورة الفرقان[32]. أنزل الله عز وجل القرآن مفرقًا منجمًا، لماذا؟ {...كذلك لنثبت به فؤادك...} سورة الفرقان[32]. أي أن النبي صلى الله عليه وسلم وبالتالي صحابته رضوان الله عليهم كانوا يحتاجون إلى القرآن، فلما تأتي سورة معينة أنت لا تشعر بمعانيها، فاعلم أن هذه السورة تحديدًا كان الصحابة ينتظرونها، وأنها أثرت فيهم جدًا، وأن نزولها على قلوب الصحابة كان من أهم أسباب الثبات لهم.

السورة التي تعتبرها بالنسبة لك سورة عابرة، تقرؤها وأنت لا تشعر بمعانيها، ولا تدرك أهميتها، اعلم أن هذه السورة هي ذاتُها بنفس كلماتها التي تكلم الله عز وجل بها وحفظها من التبديل والتحريف، هي ذاتُها كان الصحابة يحتاجونها وينتظرونها، وكانت تزيد من ثباتهم وبذلهم لنصرة دين الله عز وجل.

سورة الليل نزلت في واقع مكي مليء بالاستضعاف، كما قال الإمام ابن عاشور: أن السورة من أوائل ما نزل، في واقع مليء بانتشار الكفر وقلة انتشار الإيمان، لذلك بدأت السورة بالليل، عكس السورة التي قبلها "الشمس" وكأن الليل كان منتشرًا، {والليل إذايغشى} سورة الليل[1]. وكأنها إشارة إلى انتشار الكفر في واقع يحتاج إلى من يبذل لينصر هذا الدين.

أما موقع سورة الليل في وسط سور جزء عم في ترتيب المصحف، كثير من العلماء أشار إلى أنه قد يكون هناك تناسب بين ترتيب المصحف وأنه توقيفي، سواء بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه الصحابة واستقروا عليه بإجماع، الشاهد أننا لما ننظر من أول سورة النبأ إلى سورة الانشقاق سنجد هذه السور تتكلم عن الموت والدار الآخرة، وخاصة الدار الآخرة، تتخللها سورتي عبس والمطففين، تقريبًا هما فقط من تطرقتا لموضوعات معينة، لكن عادت في مضمون السورة للكلام عن هذه القضايا.

بعد سورة الانشقاق جاءت سورة البروج والطارق والأعلى، ثلاث سور متتاليات تبين

أن نصرة الدين تحتاج إلى بذل، وأن هناك أهل باطل سيعادون انتشار الدين، وسيصل العداء من أهل الباطل ذروته، لن يتوقف عند السخرية كما في ختام سورة المطففين {إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون} سورة المطففين[29] .لن يتوقف عداء أهل الباطل عند مجرد السخرية بل سينتقل إلى القتل والتحريق كما في سورة البروج.

ربنا سبحانه وتعالى في سورة البروج والطارق والأعلى ذكر سلسلة من الحفظ بدأت من قوله عز وجل: {بل هو قرآن مجيد*في لوح محفوظ} سورة البروج[22:21].

ثم {والسماء والطارق* وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب} سورة النجم[3:1]. النجم الذي يحرق الشياطين التي تحاول استراق السمع، فالقرآن في اللوح المحفوظ، ثم أثناء رحلة النزول محفوظ، ثم في صدر النبي صلى الله عليه وسلم محفوظ:{سبح اسم ربك الأعلى* الذى خلق فسوى * والذي قدر فهدى * والذي أخرج المرعى* فجعله غثاء أحوى* سنقرئك فلا تنسى* إلا ما شاء الله...} سورة الأعلى[7:1]. فالقرآن بالرغم من كل العداء ومحاولات شياطين الإنس والجن لتحريف القرآن، وقتل أهل القرآن إلا أن القرآن محفوظ، بالرغم من كل هذا الوضوح في سورة البروج والطارق والأعلى، تأتي سورة الغاشية لتُوضح أن هناك أناسًا تُصيبهم الغشاوة وتعمى بصائرهم، لذلك يجب أن نأخذ بأسباب الطمأنينة في سورة الفجر .

لدينا ثلاث سور متتاليات: البلد والشمس والليل، وفي الثلاث سور ذكر الله عز وجل أن هناك اختلافًا في الطرق، الله عز وجل في سورة البلد قال: {وهديناه النجدين} سورة البلد[10].

وقال الله عز وجل في سورة الشمس: {ونفس وما سواها*فألهمها فجورها وتقواها}سورة الشمس[8:7].

وقال في سورة الليل: {إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى *وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى }سورة الليل[10:4].

فنجد في السور الثلاث أيضًا يستمر معنى البلاء والمعاناة والمكابدة.

{لقد خلقنا الإنسان في كبد} سورة البلد[4]. في سورة البلد

وفي سورة الشمس تبين أن الانسان لابد أن يُجاهد نفسه حتى يتزّكى، {قد أفلح من زكاها} سورة الشمس[9].

وأيضًا في سورة الليل: لابد أن تبذل مجهودًا كي تتزكى نفسُك وتتخلص من رواسب الظلم والجهل الموجودة في النفس.

الشاهد أن السور الثلاث يخبروك أن هناك

طريقان، ولابد أن تجاهد حتى تصل.

حينما نتأمل في سورة الشمس، وكأن الفطرة هي الشمس، لكن أحيانًا يعلوها ظلام لفترة فتأتي سورة الليل وبعدها سورة الضحى، فبدأ الترتيب بالشمس وانتهى بالضحى، كأن شمس الفطرة مع نور القرآن أحيانًا تمر بفترات من انتشار الظلام وانتشار الكفر وانتشار الجهل، هذا هو الليل لذلك قال الله عز وجل {والليل إذا يغشى} سورة الليل[1] ، الليل يُغطي فقط.. فقال سبحانه وتعالى بعدها {والنهار إذا تجلى} سورة الليل [2]، أي ظهر.

لما خلق الله عز وجل المخلوقات، خلق مخلوقًا يضيئ وهو الشمس، ولم يخلق مخلوقًا يُظلم، الظلام موجود أصلًا، والشمس تأتي لتنير الكون، إذًا متى يأتِ الظلام؟ إذا غابت الشمس.

متى ينتشر الباطل؟ إذا غاب الحق، وغاب أهل الحق، هذه هي النتيجة الحتمية، لذلك قال الله عز وجل : {قل جاء الحق وزهق الباطل...} سورة الإسراء[81] ، الباطل يذهب بمجرد مجيء الحق، الباطل زهوق: أي سريع الذوبان والاندثار.

المسيح الدجال، أعظم فتنة، كيف يموت؟ بمجرد أن يرَ المسيح عيسى عليه السلام، فيذوب، والمسيح عليه السلام يقول له إن لي فيك ضربة، المسيح عيسى عليه السلام يقول للدجال: لن تفر... لكن بمجرد أن يظهر المسيح عيسى عليه السلام يموت الدجال، إذًا بمجرد ظهور الحق ونزول القرآن والمجاهدة بالقرآن والتخلق بأخلاق القرآن يذهب الباطل ويندثر.

لما أخبر الله عز وجل في سورة الشمس قال {ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها} سورة الشمس[10:7] ، لما أقسم بالنفس أشار إلى تزكيتها... هنا في سورة الليل لما أقسم بالجسد وبالخلق فقال {وما خلق الذكر والأنثى} سورة الليل[3] ، أشار إلى العمل {إن سعيكم لشتى} سورة الليل[4] ، فكما أن النفس تحتاج إلى تزكية، الجسد يحتاج إلى أعمال... سورة الشمس أشارت إلى أن نفسك تحتاج أن تتزكى، تحتاج أن تحضر دروس علم، تحتاج أن تسمع قرآنًا، تحتاج أن تسمع عن الأخلاق، وبالجملة تحتاج أن تتزكى.

النفس تحتاج إلى تزكية، والجسد يحتاج إلى عمل، لذلك تأتي {الذين آمنوا وعملوا الصالحات...} سورة الرعد [29] ، مثلما تحتاج نفسك أن تتطهر وتتزكى، بدنك أيضًا يحتاج إلى أن يبذل الأعمال الصالحة، لا تكتفي بمجرد السماع بل لا بد من العمل والبذل.

نبدأ الكلام في سورة الليل، قال الله عز وجل: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ {وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} سورة الليل[3:1] ، ثلاثة أو أربعة أقسام متتاليات {إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ} سورة الليل[4] ، هو جواب القسم

{وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ} سورة الليل[1] ، قلنا أن الليل يغطي، ثم لما تظهر الشمس يفر الليل وينتهي بمجرد مجيء الشمس.

{وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ } سورة الليل[1]: أي يغطي، فكما أن هناك تنوع بين الليل والنهار... والذكر والأنثى، كذلك هناك تنوع بين الحق والباطل والخير والشر، ويوجد أهل حق وأهل باطل، تنوع الليل

والنهار والذكر والأنثى إجباري، ربنا سبحانه وتعالى هو الذى يسيّر ذلك، أما تنوع أهل الباطل وأهل الحق، أنت ربنا أعطاك القدرة بتوفيق منه أو بخذلان منه أن تسير مسير أهل الحق أو أهل الباطل، لذلك لما قال ربنا عز وجل عن الاختلاف في الحق والباطل قال عن أفعال الإنسان: {فَأَمَّا مَن أَعطَىٰ} سورة الليل[5] ، أنت من تختار أن تمشي في هذا الطريق، وآخر {وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَٱستَغنَىٰ} سورة الليل[8] ، والعياذ بالله.

أقسم الله عزوجل هنا بالليل لماذا؟ جو نزول السورة مهم جدًا لكى تفهم السورة، وقد قلنا أن السورة التي كان الصحابة يحتاجونها وكانت تؤثر فيهم، لا تؤثر فينا لماذا؟ لأننا لا نعيش جو نزول السورة، السورة نزلت في جو مليء بالاستضعاف، لو أن أحدًا في هذا الوقت قال أن الإسلام سوف ينتشر، فسيعتبر المنافقون ذلك جنونًا، كيف ينتشر ونحن في قمة الاستضعاف! في هذه الأوقات هناك أعمال مهمة لابد أن نعملها، وسوف تأتِ معنا في السورة.

في الأوقات التي ينتشر فيها الظلام وقلة أهل الحق، وقلة في الاستبصار من الناس، ماذا نفعل؟ واقع السورة أشبه بالواقع الذي نعيشه، فستأتي توجيهات في السورة ترشدك إلى كيفية أن تُوفق وتُهدى في هذا الوقت الذى انتشر فيه الظلام، الذى يغشى فيه الليل، لذلك الكافر سُمي كافرًا لأنه يغطي الحق... الكافر لغة: هو المزارع الذى يغطي البذرة بالتراب، يكفرها أي يغطيها بالتراب، فالكفر هو عبارة عن تغطية لنور الفطرة ولنور القرآن، مجرد تغطية، لذلك لما قال الله عز وجل في سورة الشمس {وَنَفس وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقوَىٰهَا ۝ قَد أَفلَحَ مَن زَكَّاهَا} سورة الشمس[9:7] ، دور الإنسان مع النفس أن يجاهد كي تتزكى، أما من يريد طريق الضلال والعياذ بالله {وَقَد خَابَ مَن دَسَّىٰهَا} سورة الشمس[10] .

دساها بمعنى غطاها، نفس فكرة الكافر، مجرد أن تغطي نفسك وتبعد نفسك عن نور القرآن ونور الوعظ ونور الإيمان، فاعلم أنك تُضيع نفسك، غيابك عن بيئات الإيمان، وعن لحظات الوعظ، وعن سماع القرآن كفيل أن يجعل نفسك أمارة بالسوء، لكن حتى تزكو نفسك لابد من المجاهدة.

{قَد أَفلَحَ مَن زَكَّىٰهَا} سورة الشمس[9] : بذل مجهودًا كي تتزكى نفسه، تعِب وبذل الجهد حتى يحقق تزكية النفس، أما من ضيّع نفسه بأن منعها من سماع الخير وحبس نفسه، فصار مثل من حبست الهرة فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، منع نفسه أن تتلقى أي خير، فالتي حبست هرة عُوقبت في جهنم، فما بالك بمن حبس نفسه عن الخير كيف يكون عقابه!

أقسم الله عزوجل في السورة {وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ } سورة الليل[1] أي يغطي، الليل يأتي فيغطي

{وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ} سورة الليل[2]: مهما طال الليل سيظهر النهار، فالسورة لما نزلت كانت بشرى، مهما انتشر الكفر واستكبر أهل الباطل اعلموا أن النهار سيأتي، بل سيتجلى وينتشر، فكانت بشرى بانتشار الإسلام بالرغم من واقع الاستضعاف.

(وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ *وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ) سورة الليل[3:1] ، العلماء قالوا من معاني الليل والنهار والذكر والأنثى، وكأن الذكر والأنثى أشبه بالليل والنهار، الذكر أشبه بالنهار والأنثى أشبه بالليل، النهار فيه الظهور والانتشار والقوة، والليل فيه السكون والهدوء والطمأنينة، وأنه من المفترض أن المرأة تكون هي السكون والهدوء والطمأنينة والراحة والسكن، ربنا قال {وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا} سورة النبأ[10] ، غطاء وساتر، كذلك المرأة، فبعض العلماء حاول أن يبحث عن متشابهات بين النهار والذكر، وبين الليل والأنثى، وأن التنوع الذى جعله الله عز وجل بين الليل والنهار فيه تكامل، مثلما تحتاج النهار كي تعمل، تحتاج الليل كي تستريح، الذكر يحتاج للأنثى، والأنثى تحتاج للذكر، فالأنثى تحتاج إلى مجهود الذكر والبذل والقوة، والذكر يحتاج إلى الراحة والسكينة والطمأنينة عند الأنثى، فهناك تكامل وهناك تنوع في الكون يؤدي إلى نفع، الاختلاف سنة في الكون.

كذلك هناك اختلاف في الخير والشر، وسوف يظل هذا الاختلاف موجودًا إلى يوم القيامة، {...ولا يزالون مختلفين}سورة هود[118] ، فكرة التصالح الأبدي بين الحق والباطل فكرة وهمية، الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى يوم القيامة، لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، الصراع مستمر إلى يوم القيامة، لن يتوقف، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، فالذي يعتقد أنه سوف يحدث صلح بين الحق والباطل هذا موهوم، وهذا يستخدمه أهل الباطل أحيانًا كوسيلة لخداع بعض أهل الحق.

{وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} سورة الليل[3:1]

بعض العلماء قالوا {وما خلق} أي: والذي خلق الذكر والأنثى، مثل قول الله عزوجل: {وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا }سورة الشمس[5]

أي: والسماء والذي بناها... أي والله الذي بنى السماء

{وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا} سورة النبأ[6] أي: والذي طحاها أي والله الذي طحاها .

فقيل معنى قول الله عز وجل { وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} سورة الليل[3] أي والذي خلق الذكر والأنثى.

وبعض العلماء قال { ما} هنا تُسمى ما مصدرية، أي أنها مع الفعل الذى يليها تُسمى اسم مصدر، فيكون معنى الآية : وخَلْقُ الذكر والأنثى، يقسم الله عز وجل بقدرته على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد، البداية واحدة، نطفة، لكن الرب سبحانه قادر أن يجعل منه الذكر والأنثى، مثلما قال عز وجل أن الأرض تتلقى ماءً واحدًا،{... يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأُكل...} سورة الرعد[4]، فكذلك الناس يستمعون جميعًا للقرآن لكن النتيجة مختلفة،{... فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رابيًا...} سورة الرعد[17]، الناس تجاه تلقي القرآن مختلفون، ونفس هذا المعنى وضحه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال (مثل ما بعثني الله به من الحق والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا فكان منها نقيًا أنبتت العشب والكلأ، وكان منها أجادب أمسكت الماء وكان منها قيعان)[1]، إذًا الناس في تلقي القرآن مختلفون، منهم من ينبت العشب والكلأ الكثير، ومنهم أجادب تحفظ فقط بدون إنتاج، ولا فهم ولا ابتكار، ومنها التي لا تحفظ ولا تفهم.

{وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ} سورة الليل[3]، ثم قال الله عزوجل يؤكد {إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ} سورة الليل[4]، يؤكد هذه الحقيقة، الناس سيظلون مختلفين، سيظل هناك صراع.

هناك أمر عجيب جدًا بدأنا نسمعه في الفترة الأخيرة من دعاة الضلال يقولون: ما دام الاختلاف سنة كونية، وأن الاختلاف مستمر إلى يوم القيامة فلنترك المحاجة عن الحق، ونترك الجهاد، ونترك الدعوة، يقولون لك لماذا تدعو الناس؟ الله عز وجل قدّر الهداية والضلال، يستدلون بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية، ولكن فهمهم هذا خاطئ تمامًا، فهل يعني أن الله عز وجل أراد كونًا بقاء إبليس أن أقوم أنا شرعًا بعدم الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم! لا، ربنا أراد كونًا أن يظل إبليس موجودًا ولما قال: أنظرني، قال: إنك من المنظرين، لكن هل معنى هذا أن أُصاحبه!

((فالاستدلال بالإرادة الكونية على الإرادة الشرعية ضلال))

[1] عن أبي موسى الأشعري :إنَّ مَثَلَ ما بعثني اللهُ به مِنَ الهُدى والعِلمِ مَثَلُ غَيْثٍ أصاب الأرضَ وكانت منه أجادِبُ أمسكَتِ الماءَ، فنفع اللهُ به الناسَ فشرِبوا منها وزرعوا وسَقَوْا وأصاب طائفةً منهم أخرى إنما هي قِيعانٌ لا تُنْبِتُ ولا يُمْسِكُ ولا يُنْبِتُ كَلَأً فذلك مَثَلُ مَنْ تَفَقَّهَ في دينِ اللهِ ونفعه اللهُ بما بعثني اللهُ به ونَفَع به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَنْ لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا ولم يَقبَلْ هُدى اللهِ الذي أُرسِلْتُ به

الألباني (ت ١٤٢٠)، تخريج كتاب السنة ٩٠٣ •إسناده صحيح على شرط الشيخين

فتجد أن بعض الدعاة سماهم النبي صلى الله عليه وسلم دعاة على أبواب جهنم، يقولون أن الاختلاف أمر أراده الله عز وجل، ولا يصح أن تدعو لدين الحق لأنه لو كان الله أراده دينًا واحدًا لجعله كذلك، فطالما ربنا نوّع فلنترك الأمر على ما هو عليه ولا يدعو أحد إلى دينه ولا يُجاهد من أجله... هذا طبعًا هدم لأسس عظيمة في هذا الدين.

قال الله عزوجل {إن سعيكم لشتى} سورة الليل[4]، إثبات أننا مختلفون، هذا لا يعني إقرار أهل الباطل على باطلهم، بالعكس هذا يدل على أن أهل الحق يحتاجون أن يبذلوا مجهودًا أكثر، انتبه إلى تعبير {إن سعيكم...} سورة الليل[4]، أهل الباطل يسعون، إذًا لا بد لأهل الحق أن يسعوا، السعي هو بذل المجهود، قال الله عز وجل {...إن تكونوا تألمون فإنهم...} سورة النساء [104] -أي أهل الباطل- {...يألمون كما تألمون...} سورة النساء [104] تتعب ويؤلمك هذا التعب من أجل الدين هو أيضًا يتعب من أجل الباطل {إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون} سورة النساء [104] ما الفارق بيننا وبينهم؟ {...وترجون من الله مالا يرجون...}سورة النساء [104]

إياك أن تضيع هذا الرجاء فيبقى العناء، نحن لسنا سواءً في الألم، الفارق بين ألمنا وألمهم أنَّ لدينا إخلاص، أهل الإيمان ينصرون الحق، يرجون من الله الجنة، يرجون الثواب، يرجون النجاة من النار، يتمنون ويرجون ذلك من الله عز وجل، فالفارق في الرجاء.

{إن سعيكم لشتى} سورة الليل [4] شتى: اختلاف عظيم وتفرق، شتى جمع أشاتيت، تفرُّق، وأكد الله عز وجل أنه مثلما يوجد ليل ونهار، وذكر وأنثى، كذلك هناك حق وباطل، وكما أن الليل والنهار والذكر والأنثى مستمرون إلى يوم القيامة كذلك الحق والباطل مستمرون إلى يوم القيامة.

الليل والنهار ليس لك أن تختار بينهما، كذلك الذكر والأنثى، أما طريق الحق والباطل فأنت مُخيرٌ بينهما، إذًا كيف تختار؟ ربنا عز وجل يبين لك، {فأما من ...* وأما من...}

فربنا سبحانه يقول لك {فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى} سورة الليل [7:5]، {وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى}سورة الليل [10:8]

ذكرنا أن توقيت نزول السورة في بدايات الإسلام وانتشار الكفر {والليل إذا يغشى} سورة الليل [1] الليل يغطي، أي أن الكفر منتشر، و هناك استضعاف، فربنا سبحانه وتعالى يقول في هذه اللحظات يعظم الأجر ويعظم البذل، لابد أن تُعطِ مثلما ذكرنا في قول الله عز وجل {فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة *أو إطعام..} سورة البلد [14:11] ، في أوقات البلاء يجب أن تبذل... ورقة بن نوفل لما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحي، قال: ليتني أكون فيها جذعًا -أي شابًا- حين يخرجك قومك، تمنى ورقة أن يكون شابًا لينصر النبي صلى الله عليه وسلم، متى؟ في أشد أوقات الاستضعاف، في لحظة الإخراج -إخراجه من مكة-، لم يقل ليتني أكون فيها جذعًا حينما تنتصر وتملك العالم، لا، تمنى أن ينصر الدين، متى؟ في وقت الاستضعاف.

{...لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...} سورة الحديد [10] ، الذي يبذل في وقت الاستضعاف، الذي يبذل في أوقات المسغبة، كما أن الأجر يعظم في الإطعام في أوقات المسغبة -أي في أوقات المجاعة-، كذلك يعظم الأجر حينما تعطي وتبذل للدين في أوقات الاستضعاف.

{فأما من أعطى} سورة الليل [5]: أنت أحيانًا تعتقد أن الحل في أوقات الاستضعاف أن تسكت أو ألا تفعل شيئًا، لا، يجب أن يكون هناك عطاء، أيًا كان نوع العطاء، على حسب المواقف، لكن الحل في الأزمات البذل لكي نخرج من مرحلة الاستضعاف، فمثلًا عندما تفكر كيف أن مجتمع مكة كان مُضيَّقًا عليه، فكيف ينتقل في مراحل معينة إلى غيرها... من المرحلة السرية للمرحلة الجهرية، للصلاة عند الكعبة، إلى أن يجتمعوا، كل نقلة من هذه النقلات تحتاج لبذل، فعندما يذهب مَن يجهر بالقرآن عند الكعبة فتُقطع أذنه، وعندما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة فوضعوا عليه سلى الجزور، وعندما يذهب أبو بكر الصديق ويجهر وينقذ النبي صلى الله عليه وسلم فيضربوه حتى لا يظهر وجهه من قفاه رضي الله عنه.

هذا البذل هو من سبب تلك النقلة، كل نقلة في الدين تحتاج لبذل؛ لكي تنتقل من مرحلة لمرحلة يجب أن يكون هناك بذل.

كنت أستمع لأحد الأسرى الفلسطينيين ممن مَنَّ الله عليهم وتحرر من سجون اليهود، فيحكي مآسي، الشاهد من الحكايات التي حكاها قوله: كانوا يمنعوننا أن نتقابل في السجون، أي لقاء أو تجمع عابر ممنوع، فيقول: بهذا أيقنا أننا سنهلك، لأننا كنا نتصبر بشيئين: بالقرآن وبالتجمع، فقالوا: إما أن نموت أو نتجمع، وضغطوا فترة طويلة -إضرابات ومشاكل- وفعلًا مات منهم ناس حتى وافقت إدارة السجون على أن يتم بينهم لقاءات ويصلوا الجمعة وبدأوا في عمل دروس ولقاءات.

هذه النقلة كانت تحتاج بذلًا، كل نقلة في حياتك تحتاج بذلًا، وعندما تكون في بداية التزامك، لكي تبدأ في الانتقال تحتاج بذلًا؛ لذلك في قصة طالوت يقول الله {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر...}سورة البقرة [249] ، لما فصل بهم، عندما تريد أن تنتقل من مرحلة لمرحلة هناك ابتلاء {فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر... }سورة البقرة [249] ، هذه النقلة فيها ابتلاء، و عندما تجتاز هذا الابتلاء ستنتقل.

أنت في مراحل التزامك مثلما يحدث في مراحل الأمة ومثلما يحدث في مراحل الدعوة ومثلما يحدث في مراحل الدولة ومثلما يحدث في مراحل النفس، لكي تنتقل يجب أن تبذل.

هناك من يقول: أنا ملتزم هكذا منذ عشر سنوات، ولا ينتقل، لا في عبادة ولا في دعوة ولا أمر بمعروف ولا في نهي عن منكر ولا في علم، لا بذل خير وتطور أخلاقي ، لا توجد نقلات؛ لأنه لا يوجد بذل.

فقال الله عزوجل {فأما من أعطى...}سورة الليل [5]، العطاء هنا ليس مجرد عطاء مادي، ليس مجرد مال، وإن كان المال مهمًا جدًا في أوقات الاستضعاف، الدعوة تحتاج إلى مال.

{فأما من أعطى واتقى}سورة الليل [5]: ما المقصود ب{واتقى}؟

أثناء البذل سواءً للنفس أو لنصرة الدين، من الممكن أن تتعرض للحرام في طريقك، لكن انتبه، عندما تبذل تجنب الحرام، حتى لو أن أهل الباطل دفعوك لفعل الحرام، ولم يطيعوا الله فيك، فعليك أن تطيع الله عز وجل فيهم، وأنت تبذل تجنب الحرام، ولا تجعل البذل سببًا لأن تطغى.

لذلك الوقوف دائمًا في المنتصف أمر صعب جدًا، مثلما جاء في ختام سورة هود في قول الله عزوجل {فاستقم كما أمرت...} سورة هود [112] ، الاستقامة أن تسير على الطريق {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك...} سورة هود [112] ، الاستقامة وسط بين طرفين: {ولا تطغوا} سورة هود [112] و {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا} سورة هود [113]

لا تطغوا: يعني لا تطغى على الذين ظلموا، لا تطغى عليهم، فلا تعاملهم بشيء لم يأمرك الله به، وفي نفس الوقت لا تركن إليهم، دائمًا بعض الناس يعتقدون أنها حالة من اثنين، إما أن يطغى على الظالمين أو يكون جالسًا معهم ويوافقهم ويُقدر أفعالهم، لا، أنت في المنتصف، {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك} بضابطين {ولا تطغوا} {ولا تركنوا}.

{فأما من أعطى واتقى}سورة الليل [5]

وقيل أعطى واتقى بمعنى: أعطى ويخشى ألا يُتقبل منه، مُتَّقٍ، خائف، لا يمُنُّ بالعطاء {...الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة...} سورة المؤمنون [60].

{فأعطى} هذا يكون بالبذل والعمل، {واتقى} يكون بالقلب.

وقيل أعطى واتقى الشرك سواء الشرك الأكبر أو الأصغر، اتقى الرياء.

من جمال القرآن أن يترك الألفاظ مفتوحة، فلم يقل أعطى واتقى ماذا، فهذا يعطي مساحة لتنوع المعاني.

{أَعْطَى}.. وكأن كلمة أعطى –من غير مفعول به– تشعر أنه أعطى كل ما يملك في هذا الوقت.

في أوقات الاستضعاف: لا تسأل ماذا أُعطي! أنت تعطي أي شيء... مثلما فعل أبو بكر الصديق في أوقات الاستضعاف.. لذلك جمهور المفسرين على أن الآيات القادمة كلها نزلت في أبو بكر رضي اللهُ عنه.. في أوقات الاستضعاف أنت تبذل.. لذلك في أوائل ما أنزل على النبي □ ماذا قال له ربنا {ولا تمنن تستكثر} سورة المدثر [6].لا يجوز أن تستكثر ما تقدمه من البداية؛ لأنك ستقدم كثيرًا..

أنت في البداية –في أوقات الاستضعاف– ستقدم كثيرًا.. فهذا حال الذى يريد أن يسير على هدي النبي ﷺ..

{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} سورة الليل [6]

ما معناها؟ نحن نقول أن هذه الأعمال عندما تفعلها في أوقات الاستضعاف، فتنير الدنيا، بعد ما كان {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} سورة الليل [1] أصبح {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} سورة الليل [2].

يعني هذه السورة حلت لك أزمة أن تكون متحيرًا في وقت، الدنيا مظلمة ولا تعلم ماذا تفعل! لا تعرف كيف وإلى أين تسير، فالسورة جاءت لك بحلول تعملها وملخصة في أمرين

الآية الأولى: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى*وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} سورة الليل [6:5]

والآية الثانية: {إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى} سورة الليل [20]

ملخص السورة: ((بالبذل وبالإخلاص يتبين لك الحق والخلاص))..

هذا ملخص كيف تخرج من الأزمة؛ لذلك ربنا قال بالرغم من وجود {اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} سورة الليل [1] ربنا قال في نفس السورة {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} سورة الليل [12] ، يوجب على نفسه سبحانه

وتعالى تكرمًا وتفضلًا {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} سورة الليل [12] ، أي لَبيان الحق والهدى... مهما كانت الدنيا مظلمة، سينير ربنا طريقك، و يرشدك لما يجب فعله.. مهما كانت الأمور مختلطة، فالصادق سيوفقه الله أن يصل إلى الحق... لا أحد يقول ماذا أفعل؟ ولم أعد أعرف الحق من الباطل... لا... ولكن لكي تعرف يجب أن تبذل ولا بد من الإخلاص، لا تظل تقول لا أعرف.. لا، إذا أردت المعرفة تقرَّب.

تقرب شبرًا... يظهر لك الذراع.. تسير في الذراع يتبين لك الباع.. يتبين لك الطريق فتهرول.

أنت تستغرب أحيانًا تجد أناسًا في وسط واقع انتكاس وظلام واستضعاف وحزن ويأس، وتجد أناسًا تجري في الطريق إلى الله... كيف؟!... تهرول في الطريق إلى الله!.. لأنه قطع المراحل الأولى.

نحن نريد معاملة الهرولة ولا نقدم إلا الأشبار!!

ربنا يقول من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ماذا؟ ذراعًا.

ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا.

ومن أتاني يمشي أتيته هرولة.

كلمة أتيته هرولة.. مهما حاولت وصفها تقف اللغة عاجزة عن التعبير عن معناها!!!

نحن نريد معاملة الهرولة من ربنا ولا نقدم إلا الأشبار! بل أقل من الأشبار.

إذًا الخروج من حالة {والليل إذا يغشي} سورة الليل [1] ، تحتاج {أعطى واتقى *وصدق بالحسنى} سورة الليل [6:5] .

الحسنى: قيل الجنة... وقيل: لا إله إلا الله... وقيل من المعاني الجميلة جدًا التي ذكرها ابن عباس ورجحها الإمام الطبري قال: الحسنى أي أن الله سيخلف عليه وسيكون مآل الدين إلى الحالة الحسنى.. يعمل للدين في وقت الاستضعاف وموقن أن الدين سينتصر، رأى ذلك أم لم يره.

في بداية الإسلام في شدة الاستضعاف لم يكونوا يعلمون ماذا سيحدث.. كانوا في مكة ولا يعلمون ماذا يحدث.. قلة.. استضعاف.. تُقتل امرأة تُطعن في فرجها وتموت ولا يستطيع أحد أن يأخذ بحقها.. هذا كان الواقع في مكة..

في هذا الواقع أنت معك مثلًا جزء من المال فتبذل كل ما تملك لنصرة الدين وأنت موقن أنه سينتصر .. كيف؟؟

لا أعرف؛ لذلك كان أبو بكر الصديق يأخذ ماله ويذهب ويعتق العبيد... فكان ينتقي الضعفاء والنساء والمساكين.. في بعض الروايات التي ذكرها الإمام الطبري وغيره أن والده قال له: أعتق الأقوياء الذين ينفعوك ويكونوا سندًا لك.. فقال: إنما أبتغي وجه الله...

أو عندما قال له: حتى يكون لك ظهيرًا.. قال: إنما الظهير أبغي، الظهير ليس من الناس.. وهذه سنتكلم عليها في مسألة الإخلاص في البذل في أوقات الاستضعاف.

فسيدنا أبو بكر يوقن.. "صدّيق" صيغة مبالغة من الصدق، صديق: يوقن أن الدين سينتشر.

عندما تقرأ هذا الكلام في السيرة، فأنت تعلم نهاية الكتاب.. تعلم نهاية السيرة، أن الإسلام انتشر وحدثت الفتوحات.. هو لم يكن يعلم... كان يبذل ولم ير ذلك ولكنه موقن بالنصر والتمكين لهذا الدين.

فكلمة {وصدق بالحسنى} سورة الليل [6] ، من معانيها يوقن بمردود ذلك.. يعلم أنه لا يضيع شيء عند الله.. يعلم أن الكلمة –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– لا تضيع.. يعلم أن البذل الذي مع ربنا لا يضيع.. يعلم أن الجنيه أو الدينار أو الدرهم الذي يبذله في سبيل الله لا يضيع... هذه هي {وصدق بالحسنى} سورة الليل [6] ... أن الله سيخلف عليه في الدنيا والآخرة، يوقن بذلك.

إذًا في أوقات {والليل إذا يغشى} سورة الليل [1] ... في أوقات الاستضعاف... وانتشار الظلام والظلم وانتشار الكفر والضلال يجب أن تبذل... يجب أن تخاف {واتقى} ويجب أن تكون موقنًا {وصدق بالحسنى} سورة الليل [6] .

مثلما ذكرنا في سورة يس، (يس* والقرآن الحكيم).. سورة يس [2:1] ، أول بداية أن تصدق (إنك لمن المرسلين) ... سورة يس [3]

في أوقات {والليل إذا يغشى} سورة الليل [1] ، يجب أن تكون موقنًا، وأنت تبذل يجب ألا تشعر بالضرر، أو تقول: قضية خسرانة.

لذلك عندما يصيب المنافقين سيئة ماذا يقولون؟ مثلما في سورة التوبة {...قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون...} سورة التوبة [50] ، كنت أعرف هذا، فأخذت حذري.

أضرب مثالًا..

نحن نركب جميعًا في سفينة الإسلام... فتُحضر كل من معك وتركب في سفينة الإسلام... ماذا يفعل المنافق؟ يترك حبلًا مربوطًا... يقول: أنا لا أضمن تلك السفينة ستنجو أم ستغرق! بمجرد ما تحدث مشكلة وابتلاء، و هذا سيحدث حتمًا –أن تكون هناك ابتلاءات في الطريق– تجده بسرعة رمى قاربه الصغير وفر ويقول: أنا أخذت حذري.. أنا غير مطمئن من البداية.. هذه هي {...ولو أظلم عليهم قاموا...}سورة البقرة [20] الابتلاءات تحدث لأجل أن يظهر هؤلاء ويهربون –اللهم ثبتنا– لكي يظهر المنافقون {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتي يميز الخبيث من الطيب} سورة ال عمران [179]... والعياذ بالله.. نسأل الله السلامة والثبات... الثبات ليس قوة ولا فهم، ولكن افتقار فتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

{فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} سورة الليل [6:5]

يوقن أن العاقبة هي الحسنى للمؤمنين سواء في الدنيا أو في القبر، أو في الجنة... وقيل {صَدَّقَ بِالْحُسْنَى} سورة الليل [6] صدق أن هذه الأعمال هي أحسن الأعمال يعني موقن بأعمال الدين.. لا يعمل للدين ويرى أن أهل الباطل هم الأفضل، وأن هذا الدين لا يصلح لذلك الزمان.. لا.. هو يوقن أن هذا الدين هو أحسن ما يُفعل.. أن مراد الله سبحانه وتعالى هو أفضل الأعمال التي تفعلها.

{فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} سورة الليل [7:5]

انظر في وسط الليل {إذا يغشى} تأتي كلمة التيسير التي نبحث عنها كلنا؛ لأننا نشعر بعنت في حياتنا.. تريد التيسير >>> ابذل.

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} قيل اليسرى أيضًا من معانيها: الجنة.. وقيل اليسرى: أي أن ربنا سييسر لك الأعمال الصالحة.. تريد أن تتيسر لك الأعمال الصالحة، جاهد في البداية.. هذا مثل حديث (من

تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا)[٢] .. عندما يعمل الإنسان الأعمال الصالحة.. الأعمال الصالحة تيسر عليه.. عندما يجاهد نفسه على قيام الليل فترة فيكون قيام الليل عليه سهلًا.. عندما يجاهد نفسه على صلاة الجماعة فيكون الأمر سهلًا.. أما عندما تترك عملًا فترة طويلة ثم تعود له مرة أخرى تجده صعبًا، الذي يترك القيام فترة ثم يرجع للقيام يجده صعبًا.. الذي يترك الدعوة فترة ثم يريد أن يرجع للدعوة يجدها صعبة، يشعر أنه جبل، لكي يقول كلمتين أو يقوم يصلي.. تريد أن تتيسر لك الأمور ابذل أعط واتق.. كن موقنًا.

{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}

كان المتوقع أن يقول ربنا: فسنيسر اليسرى له.. لا.. كأن تركيبته ستتغير... كأنه سيحدث تغيير في خلقته ليتناسب مع الأعمال الصالحة، انظر عندما قال ربنا على القرآن {إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا} سورة المزمل [6]، يعني القرآن سينزل يطأ القلب، فكأن القلب عندما ينزل عليه القرآن سيتغير، تشكيلته وتركيبه تتغير، القرآن يفعل تغييرًا في الإنسان، فكذلك عندما تعطي وتبذل في وقت احتياج الناس كلها، وتتقي الله عز وجل وتكون موقنًا أن ربنا سيخلف عليك وموقنًا بلا إله إلا الله ومؤمنًا بما تفعل أنت نفسك ستتيسر، ستُفاجأ أن قيام الليل أصبح سهلًا، ستفاجأ بأن الدعوة أصبحت عليك سهلة، ستفاجأ بأنك تغيرت {فسنيسره}، وليس سنيسر الطريق له.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم ثم أما بعد:

لم يقل الله عز وجل سوف نجعل الطريق سهلًا عليه، ولكن سنيسره هو لأن يسير في هذا الطريق.

مثلًا لو كان معك سيارة قديمة ومتهالكة، وتمشي بها في طريق صعب وعر، فإما أن يُمهد لك الطريق، أو تَستبدل سيارتك بأخرى جديدة. فهنا قال الله عز وجل "فسنيسره" –والطريق أصلًا سهل – لليسرى، طريق الأعمال الصالحة متناسب مع الفطرة أساسًا لكن أنت الذى غيرت وبدلت، "فسنيسره لليسرى" لذلك لما تكلم عن السيئة ماذا سماها؟ العسرى، فاليسرى هي الأعمال الصالحة التي تؤدي لليسر في

[٢] - من تقرّب إليّ شبرًا تقرّبتُ إليه ذراعًا ومن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبتُ إليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرولةً

ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٠ • صحيح •

الدنيا واليسر في القبر وفي يوم القيامة وفي الجنة، اليسرى أمر ممتد وهذا من جمال القرآن أنه ذكر الصفة مثل الحسنى واليسرى والموصوف غير موجود لكي يعطي معاني أكثر فالقرآن لا يخلق على كثرة الرد إلى يوم القيامة، القرآن معطاء إلى يوم القيامة.

فهنا {وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى} سورة الليل [7:6] ، فجأة حياته تتغير بعدما كان يشتكي ولا يعرف ماذا يفعل!

فلنبدأ السورة من أولها مرة أخرى، {والليل إذا يغشى} سورة الليل[1] ، ليل منتشر ، {والنهار إذا تجلى} سورة الليل [2] ، كلنا يحلم بهذه اللحظة، لحظة تجلي النور وانتشار الحق، ثم يقول ربنا عز وجل: {إن سعيكم لشتى} سورة الليل [4] ، كلمة شتى تعطى شعورًا وكأنه يقول أي الطرق أسلك؟ طرق كثيرة جدًا، {وعلى الله قصد السبيل...} سورة النحل [9] : أي أن الله عز وجل عليه أن يبين، أوجب على نفسه تكرمًا أن يُبين لنا السُبل، {...ومنها جائر...} سورة النحل [9] ، أي ومن هذه السبل جائر أي ضال، {...ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله...} سورة الأنعام [153]، فلما تقرأ {إن سعيكم لشتى} تخاف أن تتوه وتضل، فربنا عز وجل يقول لك ابذل، جاهد، تحرى الحق، في النهاية مع الإخلاص ستُوفق بإذن الله تعالى، {فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى} سورة الليل [7:5]

{وأما من بخل واستغنى} سورة الليل [8] ، يقول: أنا محتاج، والوقت وقت استضعاف، ووقت مجاعة، سوف أدخر مالي لوقت الحاجة، ثم يُجادل قائلًا: افترض أن الدين لم ينتصر، أو ربما القضية التي أحارب من أجلها لم تنجح، والإسلام لم ينتشر بعد كل هذا الجهد... فلماذا أحارب من البداية؟ أمن أجل قضية خاسرة! هذا الذي في قلبه شك حتمًا سوف يبخل.

أهل الباطل عندما يثقون في نجاح شيء ما، مثلًا سفينة عظيمة، باخرة عظيمة، أو صاروخ عظيم يريدون إطلاقه في الفضاء، تجدهم يضعون فيه أغلى ما يملكون، لأنهم يثقون أن جهدهم وبذلهم فيها لن يضيع، فالإنسان كلما وثق في شيء وضع فيه أغلى ما يملك، عندما تثق في طريق الالتزام تضع فيه أغلى ما تملك من عمرك ووقتك ومالك لأنك واثق في هذا الطريق، واثق أنه سيوصلك! فتضع فيه أغلى ما تملك، لا تستخسر فيه شيئًا، لا تتعلل بأن العمر قصير فتقضيه في اللهو واللعب، لا بل تضع أغلى ما تملك في هذا الطريق لأنك واثق فيه... على قدر يقينك في طريقك على قدر بَذلك فيه .

ثم يقول الله عز وجل ، {وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى} سورة الليل [10:8]،

أما من بخل، يريد أن يحافظ على ما معه لأنه غير موقن، لذلك قال الله عز وجل: {وكذب بالحسنى} هو يُكذّب أن الحالة ستتحسن، يُكذّب أن حالة الإسلام ستتحسن، يُكذّب بالجنة، يُكذّب بأن عاقبة هذا الطريق هي الحسنى، يُكذّب بذلك كله فلا يبذل شيئًا، يقول ولماذا أبذل؟ الأفضل أن أحافظ على ما معي، سوف ينفعني يومًا ما.

{وأما من بخل}: أنت محتاج إلى الله عز وجل، ولابد أن تُعطي كي تنال توفيقًا من الله، لكنه يستغني بما معه من أسباب، يقول أنه مُستغنٍ والعياذ بالله، وكلما ابتعد الإنسان عن ربه عز وجل، سواء كان كافرًا أو ضالًا، وكلما تمكن من الأسباب، زادته هذه الأسباب بعدًا عن الله عز وجل فيستغني بها عياذًا بالله.

فمن أول ما أُنزل {اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم} سورة العلق [5:1] ، أول ما علم ما لم يكن يعلم {كلا إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى} سورة العلق [7:6] ،يطغى لأنه استغنى.

فهنا { وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى} يُكذّب بأن الله عز وجل سيخلف عليه، يرى كأنه يرمي الخير في البحر –وهذا غير صحيح– فالخير عند ربنا سبحانه وتعالى لا يضيع، لا تُظلمون نقيرًا ولا فتيلًا.

{فسنيسره للعسرى} آية صعبة جدًا! تخيل عندما يُسهل لك الله عز وجل طريق المعاصي، لما تأتي إليك المعاصي سهلة، العسرى سواء كانت جهنم والعياذ بالله لأنها عسيرة، أو يوم القيامة عسير، أو المعاصي التي ستؤدي إلى ذلك، ربنا عز وجل سماها ((عُسرى))، بالرغم من أن الطريق عسير إلا أن الله عز وجل جعل من السهل عليه أن يتكيف مع هذا الطريق العسير فقال: {فسنيسره للعسرى}.

لم يقل الله عز وجل أنه سيجعل طريق المعاصي سهل، بل قال سيجعله هو يسهل عليه السير في طريق المعصية، فتجد إنسانًا يتجشم ويبذل ويتكلف مجهودًا ضخمًا جدًا لفعل معصية، ويستصعب جدًا أن يعمل طاعة بسيطة.

تجد شابًا يريد مقابلة فتاة في الجامعة، يستيقظ من نومه بصعوبة لأنه نام متأخرًا ومع ذلك ينهض، ثم يهيئ نفسه، وقد تقابله صعوبات ومعوقات لكنه لا يفكر في التراجع، يجد عطره أو مستحضرات العناية

بمظهر الشعر قد نفذت، يتأفف لكنه يصمم وينزل من بيته، سيارة الأجرة كذلك تقابله صعوبات حتى يجدها ومع ذلك يُكمل، آذان الظهر، سمعه لكنه خشي أن يتأخر، يحس بثقل في أداء الطاعة حتى لو كانت كل أمورها مُيسرة، بينما يبذل ويتعب من أجل المعصية ومع ذلك تبدو له سهلة والعياذ بالله.

لابد أن نعلم أن الإنسان لا يظل على حاله، وإنما يتغير كما قال الله عز وجل في سورة الشمس أن كل نفس بداخلها فجور أو تقوى، ويظهر ذلك في الأعمال. الإنسان لو ترك نفسه يفسد، لا تعتقد أنك إن كنت ملتزمًا الآن فلابد أنك ستظل كهذا، لا الإنسان يتغير، قال الله عز وجل {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين} سورة الأعراف[175] ، انظر كيف انتقل من حال إلى حال!

وقاتل مائة نفس، المفسد في الأرض، تاب وآب إلى الله عز وجل فحرك الله تعالى له الأرض وأنزل له الملائكة، فالإنسان يمكن أن يتغير.

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله...) [٣]

لكن انتبه (...والنار مثل ذلك) يعني أنك يمكن أن تنتقل من حال إلى حال في لحظة، نسأل الله تعالى العافية وحسن الخاتمة.

{وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى} سورة الليل[10:8]: ومن معه أموال أو أسباب معينة يعتقد أنها ستمنعه من الله عز وجل {وما يغني عنه ماله إذا تردى}سورة الليل[11]

،تردى أي سقط، سواء سقط في مشكلة في الدنيا، أو سقط في القبر، أو سقط من على شفير جهنم ووقع في جهنم، أو وقع من على الصراط، كل هذا تَرَدٍّ وسقوط ومهالك، وهو يسقط يريد أن يُمسك بشيء معتقدٌ أن أمواله ستنفعه، فربنا سبحانه يقول له: أموالك لن تنفعك {وما يغني عنه ماله إذا تردى} سورة الليل[11] ، وهو في مشهد السقوط والمال لا يُغني عنه شيئًا كلما أمسك به تقطع واحترق فتكون نهايته إلى السقوط والعياذ بالله.

ثم يقول الله عز وجل: بالرغم من انتشار الليل، وبالرغم من وجود الظلام، وبالرغم من انتشار الفتن، {إن علينا للهدى} سورة الليل [12]، علينا الهدى: أي علينا بيان الهدى، ليست الهداية إجبارية، بل

[٣] عن عبد الله بن مسعود [:الجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِن شِراكِ نَعْلِهِ، والنّارُ مِثْلُ ذلكَ] .

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٨٨ • صحيح •

أنت تختار بتوفيق منه سبحانه وتعالى {إن علينا للهدى} سورة الليل [12]، البيان لكل أحد {...وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا} سورة الإسراء [15] يبين لك، يسوق الله عز وجل الهداية إلى الناس كما يسوق إليهم أرزاقهم في الدنيا، يسوق الله عز وجل الهداية إلى الناس أي بيان الهداية إلى الناس كما يسوق إليهم أرزاقهم، فمن الناس من يشكر على الرزق، ومن الناس من يقبل الهداية ويهتدي، ومن الناس من يكفر بالنعمة، ومن الناس من يصد الهداية ولا يرغب فيها.

مثلما يتعامل الناس مع النعمة يتعاملون أيضًا مع النور، هناك من يصم الآذان ويستغشي بالثياب أمام النور والهدى، وهناك من يفرح بها {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} سورة يونس [58] .

{إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة والأولى} سورة الليل [13:12] ، يملك الله عز وجل الآخرة فيفعل ما يشاء فيها، ويملك الدنيا فيفعل ما يشاء فيها، حتى لا يقول أحد هناك كفار يملكون متاع الدنيا، وهناك مسلمون لا يملكون شيئًا، هذا بترتيب وبحكمة من الله سبحانه وتعالى {كلًا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا} سورة الإسراء [20] هذه سنن الدنيا، {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد} سورة الإسراء[18] ، هذه سنن في عطاءات الدنيا، وكذلك هناك سنن في الآخرة.

ثم يقول الله عز وجل في ختام السورة {فأنذرتكم نارًا تلظى* لا يصلاها إلا الأشقى* الذي كذب وتولى} سورة الليل[16:14] ، لابد في أوقات الاستضعاف أن تتذكر النار، وأنت تبذل في هذا الوقت كي تنجو من النار، من يبذل من أجل التمكين فقط وينسى قضية الدار الآخرة يُحبط ويأس، يستأخر النصر، يقول ما فائدة عملي؟ ماذا ستفعل هذه الكلمة؟ ماذا ستفعل هذه الركعة؟ ما فائدة حفظ القرآن؟ هذا التفكير خاطئ، لابد أن تعمل حتى تنجو من النار أولًا، ثم يأتي الله عز وجل بالتمكين، وهذا ليس معناه ألا تفكر وتُخطط، ولكن معناه ألا يقتصر تفكيرك على هذه الطريقة، لأنك بذلك لن تبذل شيئًا، وستحقر من أعمال صالحة كثيرة {فأنذرتكم نارًا تلظى} سورة الليل[14] ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقف في المسجد ويقول (أنذرتكم النار)[٤] ويكررها حتى يسمعها الرجل في السوق،

[٤] - عن النعمان بن بشير [:أنذرتُكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتُكم النارَ، فما زال يقولُها حتى لو كان في مقامي هذا سَمِعَه أهلُ السوقِ، وحتى سقَطَت خميصةٌ كانت عند رِجلَيه]

ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، تخريج مشكاة المصابيح ٢٣١/٥ •حسن كما قال في المقدمة•

الرجل بالخارج ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في المسجد (أنذرتكم النار) بصوت عالٍ حتى يسقط رداؤه صلى الله عليه وسلم {فأنذرتكم نارًا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى} هنا بعض العلماء قال: الصلي أن يكون والعياذ بالله في قاع جهنم، لأن صلي الشاه أن تُدفن في شيء، فبعض العلماء قال: أن عصاة المؤمنين لن يصلوا إلى القاع، سيُعذَبون بجزء من النار في الأعلى -نسأل الله السلامة وأن ندخل الجنة بغير سابقة عذاب ولا حساب- والكفار والمنافقون سيكونون في الدرك الأسفل، أي سيصلون جهنم {لا يصلاها إلا الأشقى* الذي كذب وتولى *وسيجنبها الأتقى} سورة الليل[16:14] ، لما قال الله عز وجل على النار {يصلاها} هو الذي سيدخلها بأعماله، لما تكلم عن الجنة لم يقل "وسيتجنبها" بل قال عز وجل {وسيُجنبها}، الله تعالى هو الذى سيُجنبه، كأن دخول النار بالعدل ودخول الجنة بالفضل، لم يقل وسيتجنبها بمعنى هو سيجاهد كي يتجنب النار.. بل قال {وسيُجنبها الأتقى} لكن لكي تُجنب النار لا بد أن تبذل {الذي يؤتي ماله يتزكى} سورة الليل[18] ،كأن النفس الخبيثة تدخل النار والنفس الزكية التي تطهرت تدخل الجنة، فالجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب، لذلك لا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر لأن الكِبر خبيث فلابد أن يتطهر منه قبل أن يدخل، فمن يريد دخول الجنة وأن يُجنب النار لابد أن يتزكى، كيف يتزكى؟ بالأعمال {الذي يؤتي ماله يتزكى} سورة الليل[18] ، لماذا يبذل؟ {وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى} سورة الليل[19] ، الآية أساسًا في أبي بكر رضي الله عنه ولكل من سار على هديه، أبو بكر الصديق حتى في وقت الاستضعاف يعتق هؤلاء المسلمين الذين كانوا عبيدًا عند الكفار، ولا يفعل ذلك كي يرد فضلًا لأحد عليه، لأن المشركين قالوا أن أبا بكر يفعل هذا حتى يرد أيادٍ للناس عليه، ولكن لا هذا غير صحيح {وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى} سورة الليل[19] ، لا يفعل ذلك من أجل رد جميل أحد وإنما من أجل الله تعالى وحده.

عندما تكون مخلصًا مثل أبي بكر رضي الله عنه تجد أنك تختار الضعفاء بالرغم من أنك تعلم أنهم لن يساعدوك، تجد أنك تعمل أعمال الدين حتى لو لم تعد عليك بنفع، تُعلِّم الناس حتى لو لم يتبعوك بل حتى لو خالفوك، لأنك لا تتبع سياسة الانتقاء وإنما تبذل الخير العام للناس، يمكن أن تُطعم من يعاديك، يمكن أن تبذل الخير لمن يعاديك، لأنك تعمل لربك عز وجل وحده {وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى} سورة الليل[20:19] .

إذًا في وقت انتشار الليل كي تنجو وتصل لابد من الإخلاص، يكون كل هدفك أن تُرضي الله عز وجل، ونُلخص فنقول: بالبذل والإخلاص ينقشع الليل ويظهر الخلاص.

هل تريد أن تعرف ماذا تفعل في وقت الظلام، وقت انتشار الفتن وانتشار الضلال؟

لابد أن تبذل ولابد أن يكون هناك إخلاص في العمل، الإخلاص سرٌ بين العبد وبين الله عز وجل، شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل، سرٌ بين العبد وربه سبحانه وتعالى، وكم من أُناس مخلصين لا يعلم بحالهم وأعمالهم إلا الله عز وجل، نسأل الله عز وجل الإخلاص.

الإخلاص هذا سر، يطلع الله عز وجل على قلبك فيعلم مدى إخلاصك فيعطيك على قدر إخلاصك، فقال الله عز وجل { إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى *ولسوف يرضى} سورة الليل[21:20] ، أي ولسوف يرضى المخلص عن ربه، دائمًا المخلص ربنا عز وجل يرضيه تكرمًا منه وتفضلًا منه سبحانه وتعالى.

في السورة التي تليها {ولسوف يعطيك فترضى} سورة الليل[21] ، الجزاء من جنس العمل، أعطاه الله عز وجل لأنه كان يُعطِي، يقول الله عز وجل في سورة الضحى {ولسوف يعطيك ربك فترضى} سورة الليل[21] ، أما هنا ربنا عز وجل يقول على المخلص {ولسوف يرضى} أي ولسوف يرضى بعطاء الله عز وجل له، مثلما يقول الناس "الله يعطيك على قدر نيتك"، بالضبط على قدر إخلاصك ونيتك الصادقة في البذل من أجل الدين، على قدر عطاء الله عز وجل لك.

ثم من كرم الله عز وجل أنه سبحانه هو من أوجد هذه المعاني بداخلك، مثل الرجل الذى كان يريد أن يقاتل وقال للنبي صلي الله عليه وسلم لما أراد أن يعطيه الغنيمة قال: ما على هذا تبعتك، إنما تبعتك على ضربة بسهم ههنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اصدق الله يصدقك)[٥] . تريد أن تُضرب بسهم... هذا ليس بيدي، هذا بينك وبين ربك عز وجل، لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم لا تلبس شيئًا على رقبتك، وقف في أول الجيش واركب على فرسك وقاتل وأنت رافع رأسك حتى يأتيك السهم،

[٥] عن شداد بن الهاد :أنَّ رجلًا مِنَ الأعرابِ جاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فآمَنَ بِهِ واتَّبعَهُ وقالَ: أُهاجرُ معَكَ فأوصى بِهِ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بعضَ أصحابِهِ فلمَّا كانَت غزوةٌ، غنِمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فيها أشياءَ، فقسَمَ وقسمَ لَهُ فأعطى أصحابَهُ ما قَسَمَ لَهُ وَكانَ يرعى ظَهْرَهُم. فلمَّا جاءَ دفَعوا إليهِ فقالَ: ما هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قَسمَهُ لَكَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ. فأخذَهُ فجاءَ بِهِ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ: يا مُحمَّدُ، ما هذا؟ قالَ: قَسمتُهُ لَكَ. قالَ: ما على هذا اتَّبعتُكَ، ولَكِنِّي اتَّبعتُكَ على أن أُرمى هاهُنا وأشارَ إلى حلقِهِ بسَهمٍ فأموتَ وأدخلَ الجنَّةَ. فقالَ: إن تَصدُقِ اللَّهَ يَصدُقْكَ فلبثوا قليلًا، ثمَّ نَهَضوا إلى العدوِّ، فأتى بِهِ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يُحمَلُ، قد أصابَهُ سَهْمٌ حيثُ أشارَ. فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: أَهوَ هوَ؟ قالوا: نعَم قالَ: صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ وَكَفَّنَهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في جُبَّتِهِ، ثمَّ قدَّمَهُ فصلَّى عليهِ. فَكانَ مِمَّا ظَهَرَ مِن صلاتِهِ عليهِ: اللَّهمَّ إنَّ هذا عَبدُكَ، خرجَ مُهاجرًا في سبيلِكَ، فقُتلَ شَهيدًا، أنا شَهيدٌ علَيهِ

العيني (ت ٨٥٥)، نخب الافكار ٤٠٠/٧ • إسناده صحيح •

وإنما قال له: اصدق الله يصدقك، وجدوه بعد المعركة قد مات بسهم لم يتجاوز موضع إصبعه، في نفس المكان الذي أشار إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق الله فصدقه الله)

الصدق والإخلاص جعلا السهم يسير في الهواء ولا يذهب يمينًا ولا شمالًا ويصل إلى نفس المكان الذي أشار إليه الرجل، بماذا؟ بالصدق والإخلاص، تريد أن تكون مسددًا مثله لابد من إخلاص وبذل.

نسأل الله عز وجل أن يستعملنا وأن يوفقنا إلى فعل ما يحب ويرضى وأن يرزقنا حسن الخاتمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.